م.ت.ف. وتحدّيات أزمة الخليج

د. نبيل حيدري

من الصعوبة بمكان استشراف آفاق المواجهة الجارية في الخليج، وموقع منظمة التحرير الفلسطينية فيها، من دون الاقرار، في صورة مسبقة، بمحدودية المحاولة. انما هذا هو قدرنا حين نتناول حدثاً جارياً: ضرورة الوصول الى استنتاجات، أو على الاقل تحديد ملامح حقبة سريعة التحوّل، آنية ومعقّدة الدلالات.

وفي منظور تاريخي أبعد مسافة، يستدعي «الحدث العراقي» الحفاظ على بعض الصفاء الذهني، لئلا تتماهى الحدود، عندنا، بين الاوهام والوقائع. من هنا، فالسؤال الحقيقي ليس حول ايجابية الحدث أو سلبيته، بل حول سؤال أكثر تحديداً: هل نحن ازاء حدث عابر، أم ازاء منعطف تاريخي؟ وما الذي في جعبتنا النظرية والتجريبية يسمح لنا بالحسم في هذا المنحى أو ذاك؟

ومن سوء حظنا، بالفعل، اننا نخط هذه الصفحات، بعد سلسلة من التحوّلات الاقليمية الكبرى، التي تبدو لنا، بنظرة اليوم، خطرة التأثير، من الدخول العراقي الكويت، الى الحشود العسكرية الغربية في الخليج، الى تطوّر العلاقات العراقية ـ الايرانية، الى التحوّلات العميقة في المواقف العربية، وكأن عقداً من الاستقرار النسبي في أوضاع المنطقة يوشك على ان ينتهي. وتبدو السلطات القائمة في المنطقة، في وقتنا هذا، مهدّدة أكثر من أي وقت مضى، وهي التي استطاعت الاستمرار لفترة طويلة نسبياً.

لنتجاسر ونقول، ان ميزان القوى الدولي الذي سمح، ولا شك، خلال العقود المنصرمة، بنشوء نظام عربي واضح، وانْ لم يكن مهيمناً، هو، اليوم، ونحن نكتب هذه السطور، في تحوّل عميق، وربما جذري. وقد تكون عناصر هذا التحوّل على الصورة التالية:

○ ما نعيشه، اليوم، هو اندحار حقبة «التضامن العربي»، سياسياً ومؤسسياً، وكأن المنطقة كانت حبلى بهذا الاندحار. قد يبدو في هذا الامر مبالغة للقارىء، ولكننا نخاله يعيد النظر في هذا الحكم المتسرّع إنْ عرف ان الظروف التي أوجدت هذا التضامن والمفاهيم التي ارتبطت به لم تعد قائمة، بعد ان انفجر الكبت ونمت التيارات الطامحة الى ان تكون بديلة من المرجعيات العربية جميعها، من جامعة الدول العربية، الى مؤسسة القمة، الى المجالس الاقليمية والجهوية. بل نستطيع، بقليل من الخيال، ان نتصوّر شكل خارطة جديدة للتحالفات والمؤسسات والعلاقات، أشد تمايزاً من ذي قبل، هي في سبيل التبلور.

○ ان ما نشهده، اليوم، من الاصطفاف العربي الجديد، ليس دليلاً على هشاشة الاطار القومي فحسب، بل برهان ساطع على ان مسألة الهوية الاقليمية، التي اعتقد البعض بأنها حُلّت في